الاستثمار في تعليم اللغة العربية في مؤسسات التعليم العالي في فلسطين

د. ختام سعيد سلمان*

مدخل: "اللغة مرآة أحوال الأمة، فهي تُفصِحُ وتَفْضَحُ، تُفْصِحُ عن ناسها ومكنوناتهم وأرضهم، وتفضح وجوههم. فإمّا أنْ تكشف عن هوياتٍ متأصّلة، وإمّا أنْ ترفع القناع عن وجوه تخدعُ من حولها" (1).

مقدّمة: تشترك مؤسسسات التعليم العالي في فلسطين بالداء نفسه، وهو تهميش اللغة العربية، وسوء الأداء عند الدارسين، أو الناطقين بها، وفي ضوء هذه النتيجة، تهدفُ هذه الورقةُ إلى رصدِ واقع اللغة في مؤسسات التعليم العالي في فلسطين، مُمثّلة بجامعة بيرزيت، كما تهدف إلى متابعةِ التحديّاتِ التي تواجهها هذه اللغة في الحرم الجامعي، خارج دائرة الاختصاص (دائرة اللغة العربية وآدابها)، من خلال طلبة الجامعة الملتحقين بها في كلياتهم، والموظفين في مواقعهم المختلفة، على اعتبار أنّ اللغة العربية هي اللغة الأم، وهي اللغةُ الرسميةُ في الجامعات الفلسطينية.

أمّا مصدر هذه الدراسة الرئيس، فهو الخبرةُ الذاتيةُ الطويلة، النابعة من عملي في الجامعة، محاضرةً في دائرة اللغة العربية منذ ثلاثين سنة، تعاملتُ خلالها مع أفواجٍ كثيرة من الدارسين المتفاوتين في المستوى الأكاديمي، والمُتغيّرين بتغيّرالزمن، وتغيّرمعطيات الحياة. ويمكن ا لقول: إنّ ما تطرحه هذه الورقة أقربُ – في منهجه – إلى الشهادة الشخصية، قدّمها/ قدّمتها شاهد على العصر، وأرجو أنْ تتسّم هذه الشهادةُ بدرجةٍ عالية من الشفافية والمصداقية.

وقد أسعفتني هذه الخبرةُ في متابعة رحلة العربية – خلال فترة عملي في الجامعة، وما أصابها من تقدّم أو تراجع، وما طرأ عليها من تحديث أو اعتلال، مع الوقوف على نظرة الناس إليها، ومقدار تعزيزهم لها، واعتزازهم بها، وإقبالهم عليها. ثمّ هل بقيت هذه النظرة ثابتة؟ هي هي؟ لا يرقى إليها التغيير، أم أنّ اللغة دخلت هي الأخرى في منظومة الثابت والمتحوّل؟ أسئلةٌ كثيرة تدور في ذهن كلّ واحدٍ منّا، وتبحث عن جواب.

* جامعة بيرزيت – فلسطين.

واقع اللغة العربية في جامعة بيرزيت:

إنّ الحديث عن أهميّة اللغة العربية وقيمتها الدينية والقومية والفكرية، بات من الأمورالبديهية التي لا تحتاجُ إلى تقديم المزيد من الأدلّة والبراهين، ومع ذلك، نذكر بأنّ اللغة العربية هي مقوّم أساسي من مقوّمات الأمة ا لعربية، وعاملٌ جوهريٌ من عوامل وحدتها وبقائها، وهي لغة لها أصالتُها وامتيازاتُها، وتشغل العربية اليوم منزلةً متقدّمة بين اللغات العالمية، فهي إحدى اللغات الرسمية في هيئة الأمم المتحدّة، وتحتلُ المرتبة السادسة بين لغات العالم من حيثُ عدد الناطقين بها، وهي على التوالي: الصينية، والإنجليزية، والهندية، والإسبانية، والروسية، ثمّ العربية (2). وحظيت العربية بمزيد من التكريم عندما أعلنت اليونسكو،الهيئة الدولية للعلم والثقافة، أنّ يوم 18/ 12/ 2012 هو اليوم العالمي للغة العربية.

وعلاوة على ذلك كانت العربية لقرون عديدة لغة الفكر والثقافة،فلم تكن لغة الدين أو لغة التواصل اليومي فقط،بل تجاوزت ذلك إلى العلوم، فكانت لغة الطب والهندسة والفلك والصيدلة... وتتميز اللغة العربية كذلك عن غيرها من اللغات، بأنّها أقدم اللغات العالمية الحيّة، وأطولها عمراً، وقد ثبتت العربية الفصحى التي توحد الأمة العربية، منذ أكثر من خمسة عشر قرناَ، وستبقى إلى ما شاء الله، فما كتب العرب منذ أمد بعيد ما يزال مقروءاً، أما اللغات الأورورىية فقد أصابها تغيّر كبير، فالفرنسيّ مثلاً يشعر بغربة أمام نصّ كلاسيكيّ، وهذا ما صرّح به أحد الأساتذة الفرنسيين قائلاً: "هنيئاً لكم أنتم العرب، تقرأون لأجدادكم منذ ألفي سنة، فتفهمون وتتلذذون، وتؤدبون به أبناءكم شعراً أو أمثالاً أو..." (3).

والعربية اليوم هي اللغة الرسمية في الدول العربية، ولغة وسائل الإعلام، ولغة المدارس الحكومية، ولغة الحياة العامة، وعلى الرغم من ذلك فإنّ اللغة العربية تواجه في ظل العولمة، والثورة التكنولوجية، وسياسة الانفتاح القهري والطوعي على الغرب، تواجه تحدّيات كثيرة وخطيرة، تتمثل في تيار الانجليزية الجارف، المرئي في كتابة الإعلانات ولافتات المحال التجارية، وقوائم الطعام. وهي لغة المراسلات عبر الإنترنت والهاتف الخلوي، وهذا ما تهدف إليه العولمة(Globalization)، التي تعني إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب والأوطان والثقافات، ووسيلتها الأساسية هي اللغة، ولذلك تدعو العولمةُ إلى إسقاط الحواجز اللغوية كشرطٍ أساسي لدمج بلدان العالم وثقافاتها المختلفة في كيانٍ لغويٍ واحد، وإلى اعتماد اللغة الإنجليزية هويةً لغوية بدلاً من مفهوم اللغات الوطنية" (4).

وقد أصابتنا العولمة إصاباتٍ مباشرة، ووصف أحد الباحثين العولمة "بأنّها غول بالمعنى الصريح، أكل من لغتنا، واحتل مقاعدنا، وجلس في سهراتنا وفي غرف الأخبار، وفي التواصل اليومي... وسخّر الحرف العربي إلى حروف لا هي عربية ولا حتى شبه عربية، تُكتبُ مرّةً بالإنجليزية، أو بالفرنسية، فتُسيء للغتين معاً" (5).

وترتّب على هذا التطوّر الهائل في عالم الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات تغيّرٌ نوعيٌّ في جوانب عديدة من الحياة، وبالطبع تأثّرت اللغة، وكما يقول ديفيد كريستال: "عندما تتطوّر التكنولوجيا فإنّ مجالاً جديداً كاملاً من اللغة المحدودة سوف ينشأ" (6).

أمّا الحديث عن اللغة العربية في جامعة بيرزيت، فهو حديث غيرُ منفصّل عن واقعها في العالم العربي، هذا الواقع المتأثّر بما يدور حوله في العالم من ناحية، وما تشهده الدولُ العربيةُ تحت ما يُسمّي "بالربيع العربي"من ناحية أخرى، فالإنسان العربي يعيش اليوم في أزمة، وانعكست هذه الأزمة سلباً على الواقع اللغوي الذي يواجه تحديّات كثيرة، تسعى إلى تهميش الدور الذي تقوم به هذه اللغة، من خلال توجيه التهم إليها، ووصفها بأنّها لغة صعبة مُعقّدة، ورميها بالعجز والقصور عن مواكبة التطوّر العلمي والحضاري، وفي هذا المقام يقول سعيد الأفغاني في مقال بعنوان (7) "مزاعم الصعوبة في لغتنا": "تتابعت الحملاتُ على اللغة العربية بفواصل مُقدّرة، وكثّفوا الدعايات بأساليب متنوّعة، وتجمّعت مزاعمهم في مشكلات العربية في ثلاث:

1- الحرف العربي. 2- صعوبة القواعد العربي.
3- الازدواج بين العامية والفصحى، أو بين لغة الكتابة والقراءة ولغة الحوار".

فالعربيّة تواجه منافسةً شديدة من اللغة الإنجليزية، ويعمل الغرب مع جهاتٍ معيّنة على محاربة هذه اللغة، وتنفير الناس منها، وتوجيه التُهم إليها بأنّها لغةٌ عاجزة عن مواكبة الحداثة، والأفضل لنا أنْ نتخذ لغةً أوروبية، وهذا الكلام ليس جديداً في عالمنا العربيّ، وكُلّنا سمع تلك الصرخة التي أطلقها الشاعر حافظ إبراهيم على لسان العربيّة، في مطلع القرن الماضي (العشرين):

وسعتُ كلامَ اللهِ لَفْظاً وغايـةً   وما ضِقْتُ عنْ آيٍ بهِ وَعِظاتِ
فكيفَ أضيقُ اليومَ عنْ وصفِ آلةٍ   وتنسيقِ أسمـاءٍ لمخترعـاتِ
أيُهجرني قومي عفا اللهُ عَنْهُمُ   إلى لغةٍ لمْ تتصـلِ برواةِ

أنا البحرُ في أحشائهِ الدُرُّ كامنٌ فهلْ سألوا الغوّاصَ عن صدفاتي

فاللغة العربيّة اليوم تعيش في أزمة لأنّ أهلها يعيشون في أزمة، وصدق مصطفى صادق الرافعي حين قال: "ما ذلّت لغةُ شعبٍ إلا ذلّ، ولا انحطّت إلا كان أمرهُ في ذهاب وإدبار" (8). ويمكن قراءة هذه العبارة من اليسار إلى اليمين هكذا: ما ذلّ شعبٌ إلا ذلّت لغته، ولا انحطّ إلا كانت لغتهُ في ذهابٍ وإدبار.

ومقابل ذلك تحظى اللغة الإنجليزية باهتمامٍ شديد، وتُقدّم إلى الناس على أنّها اللغة الأمثل للفهم والإفهام، وهكذا بالتدريج ينجح الأجنبي في فرض لغته على العالم، ولمواجهة هذه الأزمة تعالت أصوات الغيورين على اللغة العربية داعيةً إلى عقد الندوات واللقاءات والمؤتمرات على امتداد الوطن العربي، لمناقشة الواقع الحالي للغة العربية، والعمل على تشخيص الداء ووصف الدواء، واتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية هذه اللغة والعمل على بقائها، ونذكر – على سبيل المثال – من هذه المؤتمرات:

1- مؤتمر *اللغة العربية ومواكبة العصر*: دعا إليه قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، وعُقد في آذار عام 2012 م.
2- مؤتمر *اللغة العربية لغة عالمية: مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة*: دعا إلى عقده المجلس الدولي للغة العربية، بالتعاون مع اليونسكو وعدد من الهيئات الدولية. وعُقد المؤتمر ببيروت في الفترة (19-22) آذار عام 2012 م، بمشاركة عدد كبير من الباحثين والمختصين والمهتمين باللغة العربية وثقافتها، من الدول العربية وبعض الدول الإسلامية مثل ماليزيا وإيران وتركيا.
3- مؤتمر *العربيّة وهوية الأمة*: عُقد في رحاب الجامعة الأردنية عمان، بين 15-17 تشرين الأول 2012 م، وهو يؤكّد على أنّ اللغة العربية أطول اللغات الحيّة عمراً، ولسان التنزيل، وهي رمز الهوية، وعنوان تحقيق الذات العربية، وجسر التواصل في الفضاء العربي.
4- مؤتمر *العربيّة في خطر: الجميع شركاء في حمايتها*: دعا إليه أيضاً للسنة الثانية على التوالي المجلس الدولي للغة العربية بالتعاون مع اليونسكو، وعُقد في دبي في أيار من العام 2013 م.
5- مؤتمر" *اللغة العربية في الجامعات الفلسطينية بين الواقع والطموح*"، الذي عُقد في جامعة بيرزيت_فلسطين، بتاريخ 10 تشرين الثاني 2012، بمشاركة عدد من الباحثين في الجامعات الفلسطينية.

فالجميع يُدرك أنّ العربيّة في خطر، وأنّ هناك تراجعاً واضحاً بشأنها في مؤسسات التعليم العالي في فلسطين لصالح اللغة الإنجليزية، وبخاصة في جامعة بيرزيت، وقد تنبّهت نقابةُ العاملين إلى هذا الأمر، وأصدرت بياناً بتاريخ 28 آذار 2012 م، بعنوان "لنجعل اللغة العربيّة اللغة الرسمية في جامعة بيرزيت"، وكان البيان مُوجّهاً إلى الزميلات والزملاء وإلى أسرة الجامعة ، وجاء في البيان: "تتوجّه الهيئة الإدارية لنقابة أساتذة وموظفي جامعة بيرزيت بهذا النداء وهذه المناشدة من أجل تكريس اللغة العربية، بصفتها اللغة الرسمية في جامعة بيرزيت، جامعة الوطن والشهداء، ولغة التخاطب بين كافة الفعاليات داخل الجامعة، ولغة النقاش والتراسل بين كافة مستويات الجامعة من إدارة وعاملين ودوائر ومراكز ومعاهد".

وفي آخر البيان، كرّرت النقابةُ "مناشدة الزميلات والزملاء، والمسؤولين في الجامعة وإدارتها، كي تكون العربيةُ لغةَ النقاش والتخاطب في الجامعة؛ لأنّها اللغةُ الرسمية في جامعة بيرزيت، وفي فلسطين".

وأكّد البيان أهمية اللغة العربية، والدور الكبير الذي تقوم به، فهي ليست مجرّد أداةٍ للتواصل والتعبير فقط كما قال ابن جنّي: "اللغة أصواتٌ يُعبِّر بها كلّ قومٍ عن حاجاتهم"، فيمكن لأي لغة أنْ تقوم بهذه المهمّة، بل هي مُقوّمٌ أساسي من مقوّمات الهوية والشخصية، وأداة من أدوات تعزيز الانتماء، وتوحيد الأمة العربية، وإقامة روابط الاتصال بين أبنائها، وهي معجزة الفكر الكبرى، والترسانة الثقافية التي تبني الأمة، وتحمي كيانها.

إنّ بيان النقابة يدقّ ناقوس الخطر المحدق باللغة العربية في جامعة بيرزيت، ويؤكّد على دور كلّ فردٍ في هذه المؤسسة لحماية اللغة العربيّة وثقافتها، داخل فلسطين وخارجها، وتلبيةً لنداء النقابة جاءت هذه الورقة لتسلّط الضوء على واقع اللغة العربية خارج دوائر الاختصاص، واسمحوا لي أنْ أبدأ هذا الحديث بنتيجة مفادها: إنّ اللغة العربيّة تشهد كلّ عام تراجعاً ملموساً في حضورها، وتغييباً مقصوداً في مجالات استعمالها، سواءٌ على المستوى الكتابي أو على المستوى الشفهي، ويمكن توضيح ذلك بالشواهد من خلال العناوين التالية:

أ. المواقع الإلكترونية الرسمية للجامعة: لاحظت نقابة العاملين، كما يلاحظ كلّ من يعمل في الجامعة، أنّ ظاهرة النقاش والتراسل الإلكتروني باللغة الإنجليزية قد زادت في الآونة الأخيرة، وهذا واضحٌ على مواقع الجامعة الإلكترونية، أو من خلال بعض المراسلات الرسمية والإعلانات، أو التعميمات إلى موظفي الجامعة، أو في ورش العمل والاجتماعات، إنّ بروز هذه الظاهرة أمرٌ لا يمكن تبريره أو

قبوله، لا سيما أنّ تلك النقاشات والمراسلات، لا تحمل أية مصطلحات يصعب التعبير عنها باللغة العربية، فهي مُوجّهة إلى الجميع، مثال ذلك:

1. تعميم من لجنة التأمين الصحي، وهذا التعميم مُوجّه إلى جميع العاملين في الجامعة، وجاء باللغة الإنجليزية.
2. مراسلات بين دائرة اللغة العربية في الجامعة، ومركز الحاسوب حول امتحان فحص مستوى الطلبة الجدد في اللغة العربية.

Subject: RE: Fwd: ??? ????? ?????? ????? ?? ????? ??????? Arabic Placement Test Automation

Dear Dr. Omar,

I've been trying to reach you for the past 2 days , can you please contact me as we need to finish the exam and test it. Things still pending:

1) Exam answers for automatic Grading.
2) Break the exam into sections.
3) There is 1 question which needs to be replaced as the exam allows for multiple choice questions only.

Awaiting your reply.

Regards,

الردّ:

الزملاء الأعزاء،
أرجو التواصل بالعربية في كل ما يتعلق بهذا الموضوع.
كما أؤكد على الطابع المستعجل للعمل وبالتالي آمل أن يتواصل السيد سمير والدكتور عمر معا ، ربما من خلال اجتماع إن أمكن، قريبا.
مع التقدير.

3. وهناك إعلانات أخذت موقفاً متوسّطاً، فقد جمعت بين اللغتين العربية والإنجليزية، أمّا من كتب رسائله الإلكترونية باللغة العربية، فقد تأثّر بمزايا اللغة الإلكترونية (electronic language)، التي تقصد إلى الوضوح وسهولة الفهم، ولا تلتفتُ إلى شروط الكتابة السليمة، كما أنّ بعض الكتبة لا يراجعون رسائلهم لغياب السمة الرسمية لهذا الوسيط اللغوي، فجاءت هذه الرسائل مليئةً بالأخطاء النحوية والإملائية، مع استعمالٍ أقلّ من اللازم لعلامات الترقيم، أو الاستعمال الخاطئ لها، مما قد يعيق التواصل، مثال ذلك ما كتبه أحد المدرّسين: "رائع أبو الشيخ... فلتكن أنت حارس لا غيرك، فليعد الأمر إلى الجامعة بعيد عن حيض التزلّف".

بالإضافة إلى إغفال همزة القطع (انا، اعتقد، ان، اي)، وقطع همزة الوصل (الإمتحان، الإحترام، إنتظر، إنتهى).

ب. تعليم العلوم باللغة الإنجليزية

إنّ اعتماد الإنجليزية اللغة الأولى في التدريس، وبخاصة في الكليّات العلمية، أمرٌ شائع في مؤسسات التعليم العالي، ليس في فلسطين فقط بل في معظم أقطار الوطن العربي، وربما وصل الأمر إلى أكثر من ذلك كما صرّح بعض الباحثين "... فقد جرى تعليق المقرّرات باللغة العربية، والانتماء العربي في بعض الجامعات العربية، وأصبح دخول معظم هذه الجامعات مشروطاً بالنجاح في امتحان التوفل (Toefl)، بل إنّ طلبات التدريس في تلك الجامعات تقدّم بالإنجليزية (9)، فالعربية تواجه – في عُقر دارها – منافسة شديدة من اللغة الإنجليزية، وهذه المنافسة مصحوبة بأصوات تهاجم اللغة العربية، وتصنّفها بأنّها ليست لغة علم، وهي عاجزة عن مواكبة الحداثة، والاستجابة للتقدّم التكنولوجي الهائل، ويرى بعض الباحثين أنّ هذا الأمر طبيعي ومُبرّر، وأنّ الحاجة إلى الإنجليزية أصبحت حاجة عملية في العالم كلّه، وليس عندنا فقط. "لأنّ الفارق الحضاري المذهل على كلّ المستويات وفي كلّ المجالات، وما رافقها من فيض سيل المخترعات والمكتشفات والمسميّات، التي ظلّت تتسارع بشكل يربك حتى أهل الصنعة، وتشهد المعاجم العالمية إضافة ملحقات للمستجدات التي تشمل المصطلحات الفيزيائية أو الهندسية، أو الإلكترونية العالية الاختصاص، وكلّها يكاد يفوق الحصر" (10).

إنّ التعامل مع الإنجليزية على أنّها لغة معرفية، وأنّها الوسيلة الأمثل للإبداع يحظى بدعم واضح في الجامعات العربية، من خلال تقديم كلّ التسهيلات الممكنة لأي نشاط يُكتب باللغة الإنجليزية، يقابله الاستخفاف باللغة العربية والنشاطات المنبثقة عنها، ويبدو هذا الأمر غريباً إلى حدّ ما، حين نرى دولاً صغيرة في العالم تصرّ على اعتماد لغاتها المحليّة في التدريس فمن يدرس في إيطاليا يتعلّم الإيطالية، ومن يدرس في بولندا يتعلّم البولندية، وهكذا... إلا في الدول العربية، باستثناء تجارب قليلة على رأسها التجربة السورية، التي تصرّ على تعريب العلوم وتدريسها، بلا استثناء، باللغة العربية، في الجامعات والمعاهد، حتى في كليات الطب، وهذا يؤكّد أنّ اللغة العربية ليست عاجزة، بل هي قادرة على مواكبة العصر.

"إنّ العناية باللغات الأجنبية في هذا الوقت بالذات، واجب تربوي وقومي معاً، حيث إنّ العالم اليوم أصبح صغيراً محدود المسافات، من منظور إمكانية الانتقال والاتصال والتفاعل المتبادل في جميع المجالات العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية... ومن العبث أنْ نعزل أنفسنا ونغلق

الأبواب دون هذه اللغات بحجة القومية، والتعصّب للهوية العربية المجسّدة –أساساً_ في لغتنا التي تظلّنا بمظلّتها وتجمع شتاتنا تحت راية واحدة" (11).

وإذا انتقلنا إلى الكليات التي تدرّس باللغة العربية، وجدنا عدم اكتراث الأكاديميين بسلامة اللغة، سواء في إلقاء المحاضرات (المستوى الشفوي للغة) أو فيما يكتبون، إذا يلاحظ الجميع طغيان العامية على اللسان العربي في اللغة المحكية، "مع الالتفات إلى وجود كمّ هائل من اللهجات المحليّة المحكيّة في الوطن العربي، تتفرّع منها لهجات بلدية تتميّز ببعض الخواص الصوتية التي تختلف من قُطْر إلى آخر، ورواج العامية عائد لقربها من النفوس وتلقائيتها، فالمتكلّم يستعملها عفو الخاطر، دون قيود أو خوف من خطأ في قواعد اللغة، لذلك يتكلّم بها الخاصة قبل العامة، والأساتذة قبل الطلبة، هذا يعني أنّ العربية الفصحى أصبحت محصورة في الوجه المكتوب من اللغة، وفي القراءة" (12). وحتّى في القراءة نجد الناس يخافون من قراءة نصٍّ مكتوب بالعربية، ولو كان مضبوطاً بالشكل التام، وقلّما نجد من يقرأ نصّاً طويلاً قراءة سليمة حسب قواعد اللغة، دون أنْ يتعثّر أو يتلعثم، والسبب هو قواعد اللغة المتغيّرة بتغيّر موقع الكلمة من الجملة.

والمعروف أنّ العاميّة متأصّلة فينا منذ الطفولة، فهي اللغة التي يتربّى عليها الطفل، وهي الشائعة في الاستعمال، وتحصل الإشكالية حين يلتحق الطفل بالمدرسة، ويُطلب منه أنْ يعبّر مثلاً عن حاجاته بالعربيّة الفصحى، أو أنْ يقرأ الكلمات المكتوبة، فيجد أنّه أمام لغة جديدة، والمطلوب منه في وقت سريع أنْ يترجم العاميّة التلقائية إلى الفصحى المقيّدة، ونكتفي في هذا المقام بتقديم بعض الأمثلة من اللهجة الفلسطينية، منها:

بدّي ميّ	<-	أريد ماءً
معلش	<-	لا يهمّ
ما شفتش	<-	لم أرَ
مفيش	<-	لا يوجد
يمّا ويابا/ماما وبابا	<-	أمي/ أبي

ويتبع هذه الازدواجية اللغوية، شيوع عادات نطقية غير صحيحة مثل ترقيق المفخّم، وتظهر في إبدال الطاء تاء في كلمات مثل: بسيطة، الطريقة، السلطة، وإبدال الضاد دالاً مثل: ضيّق، الأرض،

ضريبة، وتفخيم المُرقّق مثل: (مبسوط وسمير، تُلفظ السين صاداً)، (السورة –> الصورة)، ونطق الذال زاياً (نافذ، نفوذ، ناظم، نظام...إلخ)، وغيرها من الحروف التي لا مقابل لها في اللغة الإنجليزية.

وفي نهاية المطاف نقول: إنّ ظاهرة عدم الالتفات إلى سلامة اللغة تزداد حضوراً وانتشاراً، وهي تنتقل بالعدوى من المعلّم إلى المتعلّم، الذي ينتهز الظروف للانفلات من قواعد اللغة وضوابطها، فقد عُلّم أنّ العربيّة لا تلزمه – خارج دائرة الاختصاص، وهذا يقف عائقاً أمام تعليم اللغة العربية، ويحول بيننا وبين تحقيق الهدف المنشود من نتائج التعليم ومخرجاته. وممّا زاد الطين بلّة، أنّ عدوى الإخلال بقواعد اللغة العربية انتقلت إلى بعض أهل الاختصاص، وفي هذا الموضوع كتب الصحفي عارف حجّاوي مقالاً تحت عنوان (ربما كان مجرّد استسهال) (13).

"قبل أيام صدر ديوان الشاعر محمد العمد، مدير كلية النجاح سابقاً (نابلس)، أحصيتُ في الديوان أكثر من ثلاثمئة غلطة نحوية وعروضية، وَقدّرتُ أنّ فيه نحو ستمائة غلطة مطبعية، وهو ديوان صغير من مئة وخمسين صفحة... وصدر بإشراف "لجنة تحقيق الديوان وإخراجه"، المكوّنة من أربعة دكاترة".

ج. ظهور اللغة الثالثة (العربيزية):

تعني ظاهرة العربيزية: خلط الكلام العربي بكلمات إنجليزية، أو فرنسية، أو عبرية كما في الأرض المحتلة (فلسطين)، وهذا الخليط اللغوي هو شكل من أشكال التلوّث اللغوي، ويعني ظهور لغة ثالثة في الاستعمال إلى جانب الفصحى والعامية. وهذا يعكس نزعة مجتمعية قويّة نحو التغريب، وقد امتدّت مظاهر هذا التغريب الثقافي اللغوي إلى كلّ موقع من مواقع الحياة، وأمثلته كثيرة في حياتنا العامة والخاصة، وهناك من يرى أن أهداف هذا التغريب ودوافعه تقع في إطار التقليد لمجرّد التقليد لمطمح أدبيّ أو ماديّ، أو تأتي إشباعاً للنزعة إلى "الامتياز" بتصوّر الفوقية للأجنبي المستورد و"الدونية" للقومي الموروث" (14). وشاعت ظاهرة "التنجلز" أو "التفرنس" في كلام الناس المثقّفين والبسطاء على حدّ سواء، على اعتبار أنّ استعمال الكلمات الأجنبية، وبخاصة الإنجليزية، هو مظهر من مظاهر الرقيّ العلمي، والتحضّر الاجتماعي (البرستيج)، وأصبح السؤال التالي مُبرّراً: "عربيزي? do you speak، وهو يقابل السؤال: Do you speak English?، ومع مرور الأيام بدأت هذه الكلمات الأجنبية تحلّ محلّ الكلمات العربية، ومثال ذلك: sorry محلّ آسف، thanks أو merci محلّ شكراً، please محلّ من فضلك، uncle أو aunt محلّ العمّ والعمّة أو الخال

والخالة، وكلمة shopping محلّ تسوّق، وعلى مستوى جامعة بيرزيت/ فلسطين، تشيع الكلمات التالية: الخطّة الدراسية: outline، حذف المساق: drop، conflict محلّ تعارض، علامة غير مكتمل: incomplete، المعدّل العام: average، علامة كاملة: full mark، مخزن الكتب: book store، الاجتماع: meeting، الامتحانات الفصلية: first/second-hour exam, midterm, final exam"، وغيرها الكثير، وأصبحت هذه الكلمات في الاستعمال جزءاً أصيلاً من لغتنا، وخضعت للنظام الصرفي، فاشتق منها الفعل والمصدر، مثال ذلك كلمة: drop –> جاء منها دَرْبل–> يُدربل، واسم الفاعل: مُدَرْبل. كلمة: save: سيّف يسيّف –> تسييف (المصدر)، وأسندت لها الضمائر فقالوا: سيفته، سيفتها، من كلمة: style ستايله، ستايلك، جُمع بعضها بالألف والتاء الزائدتين (جمع مؤنث سالم) مثل: (mobile) موبايل –> موبيلات، (message) مسج –> مسجات، (file) فايل –> فايلات...

إنّ هذا المدّ اللغوي، أو التلوّث اللغوي – إنْ جاز التعبير – يزداد يوماً بعد يوم، ويعني أنّ اللغة العربية في خطر، "وتشير الإحصائيات أنّه في ظلّ العولمة، أو الميل إلى استعمال اللغات العالمية الأكثر فاعلية، فإنّ ما بين 250–300 لغة تنقرض سنوياً، فالعولمة تسعى إلى نشر لغة واحدة في العالم أجمع، وهي اللغة الإنجليزية، حتّى تتمكّن من تحقيق الهيمنة الاقتصادية والإعلامية والثقافية، ولا يتمّ ذلك إلا بإقصاء اللغات وإضعاف تأثيرها في مجتمعها" (15)، وبسبب العولمة دخلت ألفاظ الحضارة إلى كلّ ما حولنا من وسائل العيش، والتنقّل والاتصالات، وتقوم وسائل الإعلام، وعلى رأسها الفضائيات، بالترويج لأيديولوجيا الهيمنة الإنجليزية، من خلال أسماء البرامج، ونخصّ بالذكر: Star Academy، Arab Idol، Arabs Got Talent، The Voice...

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل تسرّبت الكلمات الأجنبية إلى أغانينا الشعبية الخالدة مثل: على دلعونا، وقد استمعتُ إليها من الممثّل السوري سامر المصري في مسلسل أبو جانتي، وهي طويلة، وسوف أختار منها المقاطع الدالة التالية:

على دلعونا على دلعونا بَيْ بَيْ الغربة الوطن حنونا

How many times

قلت استنيني

You go far

وما نطرتيني

If you let me alone

لك جننتيني

My darling come on

لا ترحلونا... وعلى دلعونا...

Tell me my darling

My darling tell me

Tell me you love me

ودمّك من دمي

my father لأترك

لأجلك وأمي

Come on my darling

لا ترحلونا... وعلى دلعونا... على دلعونا

ودافع بعض الدارسين عن هذه الظاهرة (استعمال كلمات أجنبية مكان الكلمات العربية) قائلاً: "إنّ استعارة مفردات ومصطلحات غير عربية أمر لا غبار عليه"، فالقرآن الكريم نفسه اشتمل على مفردات أعجمية، فارسية وحبشية (16)، مثل: استبرق، وهي كلمة فارسية الأصل معناها الديباج الغليظ. (سورة الكهف: 31)، طوبى، وهي كلمة حبشية معناها الجنة (سورة الرعد: 29).

ولنا في أسلافنا عبرة وقدوة، من ذلك أنّ العلماء والمترجمين المستعربين والعرب الذين نقلوا التكنولوجيا في التجربة الأولى لم يعترض حركتهم أحد في التوليد والتعريب، فهم على غزارة مادة العربية ومرونتها، وصيغها ومزاياها الوصفية نحتاً واشتقاقاً ومجازاً، كانوا، إذا أعوزتهم السبل، ينقلون اللفظ الإغريقي أو الهندي أو الفارسي بلفظه، تشهد بذلك الأعمال الخالدة لابن سينا والكندي والرازي... وقد فعلوا ذلك رغبة في الدقة، ومراعاة للحفاظ على الصلة العلمية مع سائر اللغات، وكانوا إذا رأوا مصطلحاً لا يؤدّي معناه كاملاً، عدلوا عنه إلى ما هو أدقّ وأضبط وأذوق، ولم يبالوا أنْ يكون ذلك المصطلح عربياً أصيلاً أو مستعرباً دخيلاً" (17).

وكان أسلوب التعريب وهو نقل المصطلح الأجنبي وصياغته على قالب عربي شائعاً منذ القدم، ولا خلاف بين العلماء العرب في استعمال المُعرّب، وجاء في كتاب "مفتاح العلوم" لأبي عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي (− 380 هـ)، أنّ كلمة فلسفة مُعرّبة عن الكلمة اليونانية (فيلاسوفيا) أي محبّة الحكمة، والاصطرلاب: مقياس النجوم، معرّب عن اليونانية، اصطر/ لابون، ومعناها: النجم/ المرآة.

إذن لا خوف من دخول مفردات جديدة إلى اللغة، ولا سبيل إلى حجب المؤثرات الأجنبية، فالجميع يقول: السينما بدلاً من دار الخيّالة، والتلفون بدلاً من الهاتف، والفاكس، بدلاً من الناسوخ، والفيس بوك بدلاً من كتاب الوجوه... إلخ. ونستأنس في هذا الموضوع برأي د. صبحي الصالح القائل: إنّ تبادل التأثير والتأثّر بين اللغات قانون اجتماعي إنساني، والعربية في هذا المضمار ليست بدعاً من اللغات الإنسانية، فهي – جميعاً – تتبادل التأثّر والتأثير، وقد اقترضت قبل الإسلام وبعده ألفاظاً أجنبية كثيرة، ولم يجد العرب القدماء في هذا غضاضة (18)، ولكنّ الغضاضة عند من فتح الباب والشبّاك لهذا الوافد الأجنبي كي يدخل بحريّة إلى العربية، يقول جورجي زيدان: "ليعلم حملة الأقلام أنّ اللغة كائن حيّ يخضع لناموس الارتقاء، تتجدّد ألفاظها وتراكيبها على الدوام، فلا يتهيّبون من استخدام لفظ جديد لم يستخدمه العرب" (19).

وفي تعقيب آخر على ظاهرة استعمال الألفاظ والمصطلحات الأجنبية في ثنايا الكلام العربي منذ القدم، نقول: إنّ ما قام به القدماء من نقل المصطلح الأجنبي دون تغيير، أو العمل على تعريبه أمر مختلف تماماً عمّا نشهده اليوم من غزو ثقافي مُمنهج، وذلك أنّ دور أسلافنا أيام ابن سينا وغيره "لم يقتصر على التلقّي السلبي الاستسلامي لأسباب الحضارة، بل كنّا مشاركين فاعلين فيها، ومتفاعلين ايجابيين معها... أمّا اليوم فنحن نجابه هذه التجربة عبيداً أو مغلوبين على أمرنا..." (20).

د. المستوى العام لطلبة الجامعة في اللغة العربية

"إنّ شكوانا من ضعف الطلاب في اللغة بشكل عام، ومن عدم قدرتهم على التعبير بشكل خاص أمرٌ لا يحتاج إلى دليل" (21)، فالشكوى من تدنّي مستوى الطلاب دائمة، وانصراف الطلاب عن

الاهتمام اللازم بهذه اللغة هو الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان. فهناك ضعفٌ واضح في أوساط الطلبة في المهارات الأساسية في اللغة العربية، ويظهر هذا الضعف في مستويين:

1. ضعف علمي: يبدو في الجهل في قواعد ضبط اللغة (النحو والإملاء).
2. ضعف وظيفي: يتجلّى في تطبيق هذه القواعد في القراءة السليمة، والكتابة الخالية من الأخطاء.

وهذا ما أشار إليه نائب الرئيس للشؤون الأكاديمية في رسالة مُوجّهة إلى دائرة اللغة العربية، يدعوهم فيها إلى مواجهة هذا الخطر المحدق بالعربية، وإيجاد الحلول التي تجعل من العربية لغة قويّة متطوّرة، قادرة على مواكبة العصر، وجاء في الرسالة:
"إنّ من المشاكل التي تصادف الجامعة هي ضعف المهارات اللغوية لخريجي الجامعة، حسب تقدير الكثيرين في اللغة العربية خاصة، مع أنّه لا شكّ فيه أنّ المهارات اللغوية، بالإضافة إلى قيمتها الأدبية والوطنية، هي مما يساعد الخريج في النجاح مهنياً سواء على المستوى المحلي أو المناطقي، وقد يكون الأمر أكثر وضوحاً في تخصّصات مثل التعليم والإعلام والمحاماة وغيرها". وفي ضوء هذه الحقيقة يرى نائب الرئيس أنّ الجامعة تولي تطوير مهارات اللغة العربية عناية خاصة، وترغب في اتخاذ خطوات إضافية لتعزيز هذه المهارات، وطلب من المدرسّين (أهل الاختصاص) تقديم مقترحاتهم العملية لتطوير هذه المهارات" (22).

والسؤال المطروح الآن هل اللغة العربية لغة صعبة تستعصي على الدارسين؟ أم أنّ أبناءها يستخفّون بها، ويشعرون أنّ الوقت الذي يُنفق في تعلّمها وقتٌ ضائع؟ فالسلعة (اللغة العربية) غير رائجة في السوق العالمي، ولا حتى المحلّي، والتجارة فيها خاسرة في عالم اليوم، عالم البيزنس (Business). وهذه حقيقة تمّ رصدها من خلال طلبة الجامعة الذين يدرسون مساقين في مهارات اللغة العربية، تحت بند (متطلّب الجامعة)، والمفروض أنّ المساقين يتضمّنان معلومات أساسية في اللغة العربية، وهي ضرورية للناطقين بالعربية حتى لو لم يكونوا من أهل الاختصاص، لأنّ مهارات اللغة العربية ليست مادة دراسية وحسب، يدرسها الطالب وتنتهي بنهاية الفصل، ولكنّها وسيلة لقراءة أي نصّ مكتوب بالعربية، وكتابة أي مادة بهذه اللغة، بغضّ النظر عن طبيعة موضوعها، إنْ كان في الجغرافية أو التاريخ أو علم الاجتماع... وغيرها من الحقول المعرفية. "وإذا كانت اللغة هي مادة التخصّص لمدرسي اللغة العربية، فهي بالنسبة إلى سائر المدرّسين مفتاح لمواد تخصّصهم، وهي

وسيلتهم الأولى لقراءة مراجع هذه المواد وفهمها، وشرح موضوعاتها للتلاميذ، ووضع المذكرات، وتأليف الكتب لهم" (23).

ولتحديد مستوى الطلبة في اللغة العربية بشكل دقيق، ينبغي أنْ ننظر إلى الموضوع نظرة شمولية، على مدى سنوات عديدة، وهذا ما فعلته، واستطعتُ تسجيل الملاحظات الآتية:

1. هناك عدد متفوّق في اللغة العربية، ولديه إلمام جيّد بالقواعد، مع قدرة على تطبيقها قراءة وكتابة، مع حرصٍ شديد على حضور جميع المحاضرات، ورغبة في التوسّع فيها، وتحصيل المزيد، ومعظم هؤلاء الطلبة، مع الأسف، من الكليّات العلمية مثل: الهندسة، والصيدلة، وتكنولوجيا المعلومات. وليسوا من الكليّات الإنسانية كالآداب مثلاً، والسبب في ذلك أنّ طالب الكليّات العلمية هو أصلاً متفوّق في المدرسة في المواد العلمية والأدبية، فاهتمامه باللغة العربية لا ينفصل عن اهتمامه العام بدراسته حتى يحصل على نتيجة ممتازة، لا تشوبها شائبة.
2. هناك نسبة كبيرة من الطلاب تصنّف على أنّها ذات مستوى متوسّط بالعربية، وهذه الفئة قانعة بما كتب الله لها، ولا تريد المزيد، لإدراكها بانّ اللغة العربية ليست من اللغات المهمّة في عالم اليوم الذي يرى "أنّ قيمة الشيء مستمدّة من قيمته الشرائية في سوق العمل... ولغتنا العربية ليست لغة عالم المال" (24).

إنّ أبناء هذه اللغة يفتقدون الدوافع والحوافز اللازمة لإتقان لغتهم، وهم مُشبعون منذ الطفولة بالأفكار السلبية، التي تضع بينهم وبين هذه اللغة جداراً عالياً لا يمكن اجتيازه، فالعربية لغة صعبة ومعقّدة، ولا جدوى من بذل أي جهد للتقدّم ولو خطوة واحدة إلى الأمام، ثمّ يلوّحون بالسؤال التالي: ماذا نستفيد إذا أتقنّا اللغة العربية؟ غداً نتخّرج من الجامعة، وتبدأ رحلة البحث عن الوظيفة، وكلّ الوظائف بلا استثناء. تشترط في المتقدّم لها –مجرّد المتقدّم – أنْ يُتقن الإنجليزية: قراءة وكتابة ومحادثة، ولم نسمع عن إعلان واحد لوظيفة شاغرة يشترط اللغة العربية.

3. أما ثالثة الأثافي، فتظهر في تلك الفئة التي يُطلق عليها اسم Native Speaker، أي أولئك الذين تكون العربية الأم بالنسبة إليهم لغةً ثانية، ومعظم هؤلاء قادمون/ قادمات من أميركا وكندا، هذه الفئة تبدأ الفصل الدراسي، وتخرج منه دون أنْ تستفيد كلمة واحدة، لها طلب واحد: نريد أنّ ننجح في هذه المادة، وكيف؟ بمساعدة المدرّس، يضاف إلى هذه

المجموعة أعداد لا بأس بها من أبناء العروبة، الذين يتكلّمون العربية منذ نعومة أظفارهم، وهؤلاء أيضاً يريدون أنْ ينجحوا فقط، حتى لو كان الفاعل منصوباً، والمضاف إليه مرفوعاً، والقواعد مقلوبة رأساً على عقب، وهذه الفئة تذكرّني بالطالبة التي قرأت في فيلم "غزل البنات" نصّاً أمام مدرّس العربية "نجيب الريحاني" على النحو التالي: "وتملّك الغيطُ (بدلاً من الغيظُ) من الأسد، وقال له: يا أبلة (بدلاً من يا أبْلَه)، وَيَلُكُّ (بدلاً من وَيْلكَ)". فعلاقة هؤلاء باللغة العربية هزيلة، فهم يسمعون بالفعل والاسم والحرف، والأفعال الخمسة والأسماء الخمسة... إلخ، لكنّهم لا يعرفون كيف ولا متى تُستعمل؟ ويرى من يُصحّح أوراق هؤلاء الطلبة في الامتحانات ما يعجز اللسان عن وصفه، ففي كلّ ورقة نحو جديد، وفيما يلي أمثلة من هذه الأخطاء، رُصدت من نشاط بيتي، قام به الطلبة، لتوضيح الاسم المنقوص في صورتيه (مُثبت الياء ومحذوف الياء)، مع الإعراب(الأمثلة كما كتبها الطلبة):

- قال تعالى: (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ).

  لعالٍ: اللام حرف جر، عالٍ: اسم مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.
- عَيّنت المحكمة محامٍ متمرّساً للدفاع عن المتهّم.

  محامٍ: مفعول به منصوب وعلامة نصبة الفتحة المقدّرة.
- ليس فوق الأرض باقٍ.

  باقٍ: خبر ليس مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدّرة.
- سلمتُ على قاضٍ.

  قاضٍ: اسم مجرور وعلامة جرّه الضمة المقدّرة.
- عاش الفلسطينيون ماضٍ تعيس.

  ماضٍ: مفعول به منصوب بالفتحة المقدّرة.

فالطلبة يخطئون في أشياء يرفضها السماع قبل العلم، ويجهلون أشياء أساسية، فهم لا يعرفون إنْ كان اسم (كان وأخواتها) مرفوعاً أو منصوباً، ولا يريدون أنْ يعرفوا، وإنْ عرفوا (نظرياً)، فهم لا يترجمون المعرفة في عمليتي القراءة والكتابة، وهكذا يدورون في دوّامة استمرارية الضعف في اللغة العربية. ولسنا ندري من المسؤول الأوّل عن هذا الواقع الذي شبّ عليه المتعلّم، وقد يشيب، وهو يجهل لغته: أهو المُدرّس أم الدارس أم المدروس، أم

المجتمع؟ ربما كان جميع هؤلاء مسؤولين عن هذه النتيجة المأساة التي تتفاقم مع مرور الأيام. مع أنّ حلّها بسيط، وقد أعجبني في صحيفة محليّة الإعلان النادر التالي:

علّم ابنك شهر ولا تتعب دهر

عند ابنك أو بنتك مشكلة مع اللغة العربية

في الصف الأول، في الصف الثاني – الصف السادس (المرحلة التأسيسية)

حلّها بسيط؟ كيف؟

بطرق جديدة وسهلة وممتعة كمان

قراءة... كتابة... إملاء... وحتى الخط

لا تتردّد... (اتصل على الأرقام التالية:...)

هذا الإعلان على قصره وبساطته وتلقائيته، يدعو إلى تطوير أساليب التدريس، وتبنّي خطة منهجية تقوم على ربط التعليم بحاجات المتعلّم ضمن منهج محدّد، يسعى لتحقيق أغراض وظيفية بطرق جديدة من خلال علم اللغة النصّي، الذي يهتم بدراسة النصوص الأدبية وفهمها، وتحليلها تحليلاً لغويّاً شاملاً المستوى النحوي، والصرفي والدلالي والإملائي، كما أنّه يدعو إلى تفعيل التحفيز في العملية التربوية، من خلال الجمع بين الفائدة/ الحاجة، وبين المتعة في تعليم اللغات، وقد وضع المؤلّف الإيطالي (فابيو كاوون) كتاباً في تعليم اللغات بعنوان "المتعة في تعليم اللغات: تحدٍ منهجي"، ترجمة أ.د. رشيد بلحبيب، وهذا الكتاب هو الوثيقة التربوية الثالثة ضمن سلسلة "وثائق تعليم اللغات"، التي تصدر عن مختبر الإيطالية كلغة أجنبية بقسم علوم اللغات/ جامعة كافو سكاري بالبندقية، وقد عرض فيه (كامون) أحدث النظريات في تعليم اللغات: الأم، أو الثانية، أو الأجنبية من منظورات مختلفة، ومن جملة النماذج التي تمّ عرضها النموذج الثلاثي لباولو بالبوني، وهو يقوم على ثلاثة أركان: الواجب، الحاجة، المتعة، فاللغة لها وجهان، وجه شكلي يبحث فيما تتركّب منه اللغة، وهذا ما يختصّ به علم اللغة النظري (Theoretical Linguistics)، وهو يُعنى برسم معالم النظرية اللغوية، والآخر: علم اللغة العملي (Applied Linguistics)، وهو يُعنى بتطبيق علم اللغة في الحياة والاستفادة منه في المجالات العملية، وقد عُني علماء اللغة بالجانب الشكلي – أكثر من عنايتهم بالجانب الوظيفي، وتنصبّ معظم البحوث التي نقرأها في كتب اللغة على مركبّات اللغة وأنظمتها، ونؤكّد في

هذا المجال على أنّه لا يستغني قسم من هذين القسمين عن الآخر، فالدارس للقسم النظري ينبغي أنْ يضع في ذهنه ضرورة الإفادة من الجانب النظري في الحياة، وعلم اللغة العملي لا يستطيع أنْ يؤسّس مشاريعه العملية إلا على أساس نظرية مقنعة" (25).

نلاحظ أنّ بالبوني يركّز على المتعلّم باعتباره محور العملية التعليمية، مُمثّلاً بذلك نقلة نوعية في مجال التعليم، بعيداً عن الطروحات التقليدية التي تجعل من النحو والصرف مداخل لتعليم اللغات، متجاوزاً فلسفات الكتاب المقرّر والبرامج وظروف العمل، كما أفاض المؤلّف في عرض تعليم اللغات عن طريق اللعب في جميع مراحل العمر، ويرى مترجم الكتاب أنّ ما جاء في الكتاب، مهم للغاية، وختم كلامه قائلاً: "... وأملي كبير أنْ تتمّ الإفادة من هذا العمل العلمي في مجال تعليم اللغة العربية، والخروج بها من الدوائر المغلقة إلى رحابة التعليم القائم على الرغبة والمتعة، ودعوة في الوقت نفسه لمراكز الأبحاث والمختبرات لتوجّه جزءاً من اهتماماتها إلى تطوير طرق التدريس ومناهجه، وتركيز التعلّم بدلاً من التلقين، وتفعيل دور المتعلّم في العملية التعليمية" (26). فالفائدة من التدريس يجب أنْ تقترن بالمتعة في الحصص الصفيّة، وفي المحاضرات، وليست غائبة عنها، كما يفعل بعض المدرّسين الذين يحافظون على سَمْت معيّن من الجديّة والصرامة، مما يجعل الجو العام ثقيلاً ومُمّلاً.

خاتمة وتوصيات:

في نهاية المطاف يمكن القول: إنّ حال اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، بالمقارنة مع حالها قبل مئة سنة على سبيل المثال، بخير، فقد كان الكُتّاب يخافون عليها من التلاشي والانقراض، وهذا ما صرّح به جبران خليل جبران (-1931م)، الذي ربط حياة اللغة وازدهارها بالفكر المبدع في مجموع الشعوب التي تتكلّم اللغة العربيّة، فإنْ كان ذلك الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيماً كماضيها، وإنْ كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها العبرية والسريانية" (27).

ستبقى اللغة العربية حيّة وإلى الأمام إذا احترمها الكبار (جيل الآباء)، وعلّموها للصغار (جيل الأبناء)، وبثّوا في نفوسهم أنّ إتقانها واجب ديني ووطني وقومي، وأستشهد في هذا المقام بما

قاله أبو منصور الثعالبي قبل قرون:"...فإنّ من أحبّ الله أحبّ رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحبّ النبي العربيّ أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب، ...ومن أحبّ العربية عني بها وثابر عليها، ...والإقبال على تعلمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد" (28).

إنّ حماية هذه اللغة هي مسؤولية مشتركة بين الفرد، والمجتمع، والدولة، وأنّ ما يعطي اللغة قوتّها وحيويتها هو وعي الأمّة، وحرصها على حماية لغتها من التحديّات التي تقف في وجهها، وتحول بينها وبين أداء دورها العظيم في الإبداع، وهذا ما يقوم به بالفعل – الشعراء والكتّاب المتميّزون الذين تُترجم أعمالهم إلى لغات عالمية حيّة، وكي تبقى العربيّة في مصاف اللغات العالمية، نختتم هذا البحث بالتوصيات التالية:

1. صدور قرار سياسي لحماية اللغة العربية من المنافسة التي تتعرّض لها، فالجهود المبذولة لا يمكن أنْ تحقّق هدفها على نحو أفضل، إلا إذا توفّرت إرادة سياسية تدرك أهمية اللغة العربية، وتعلن انحيازها لها فيما تمارسه أو تتبنّاه من الخطاب (29)، وينبغي أنْ يكون هذا القرار حاسماً وفعّالاً، كتلك القرارات التي تصدر عن دائرة السير لضمان السلامة على الطرق، وجدير بالذكر أنّ أغلب الدول العربيّة لديها قوانين تخصّ سلامة اللغة العربية، غير أنّ هذه القوانين تبقى حبراً على ورق، وكلاماً في المطلق، لعدم وجود آليات تنفيذية تتضمّن متابعة القوانين على أرض الواقع، فمثلاً في الأردن نصّت الفقرة (و) من المادة الثالثة من قانون التعليم العالي والبحث العلمي رقم 2001/41 على أنّ التعليم العالي يهدف إلى العمل على تعميم استعمال اللغة العربية لغة علمية وتعليمية في مراحل التعليم العالي، وتشجيع التأليف العلمي بها، والترجمة منها وإليها. وفي مصر ينصّ قانون تنظيم الجامعات الصادر عام 2006م في المادة (168) على أنّ اللغة العربية هي لغة التعليم في الجامعات الخاضعة لهذا القانون، ويجوز، كما جاء في قانون جامعة السلطان قابوس بعُمان الصادر عام 1999، بقرار من رئيس الجامعة بعد أخذ رأي مجلس الجامعة، استعمال لغة أخرى لتدريس بعض المقرّرات (30).
2. أنْ تقوم الجامعات بدور حقيقي لخدمة اللغة العربية، وتبنّي خطط منهجية للارتقاء بها، منها: أنْ يكون إتقان العربية قراءة، وكتابة، ومحادثة، شرطاً أساسياً للتعيين في الجامعة، بغضّ النظر عن موقع العمل. وأنْ يكون هناك معهد أو مركز يتابع الناطقين بالعربية من

مدرّسين وطلاب، ويقوم بعمل دورات في مستويات متفاوته لتقوية غير المتخصّصين، كتلك الدورات التي تُعقد لتطوير مهارات الحاسوب، أو اللغة الإنجليزية، وغيرها. وإقامة مناظرات شعرية ومسابقات أدبية كتلك التي تُقام للغناء، ويُنفق عليها المال الوفير مثل:Arab Idol ، وتحظى بجماهيرية عالية، ومعايير دقيقة من الحكّام. نقول: حبّذا لو نالت اللغة العربية من الاهتمام بعض ما تناله هذه البرامج لكانت بألف خير، كذلك على الجامعات أنْ تفرض على المحاضرين باللغة العربية الالتزام بالفصحى، قدر الإمكان، ومطالبة المتعلّمين الالتزام بالقواعد، وأسس الكتابة السليمة فيما يكتبون، واحتساب علامات على ذلك، للحدّ من طغيان العامية التي يلجأ إليها الجميع، لتلقائيتها وسهولتها ، إنّ مدرّسي التعليم العام والجامعي على حدٍّ سواء يهربون من قيود الفصحى وقوانين النحو، فيجدون في العاميّة مندوحة تعوّض النقص الذي يشعرون به، فانحاز هؤلاء إلى العامية هرباً من وصمة الجهل بقواعد العربية الفصحى، وعدم إحسانهم لها..." (31).

3. تطوير مناهج اللغة العربية، وتوظيف الأساليب الحديثة في تدريس اللغات، ويظهر ذلك في الاستفادة من التقنيات الحديثة في تعليم اللغة، والتواصل مع التربويين، والاستئناس بخبرات مدرّسي اللغات الأخرى في الجامعة وخارجها، مع تذكير المتعلّمين بصورة دائمة، أنّ العربية ليست مادة دراسية فحسب، بل هي وسيلة لدراسة وفهم كلّ ما هو مكتوب بالعربية من صحف ومجلات وكتب علمية ومواد دراسية، كما أنّها الوسيلة الأولى للخطاب بين مرافق الجامعة المختلفة.
4. العمل على إدراج اللغة العربية في التعليم الجامعي في جميع الكليّات بالقدر الممكن، من خلال تشجيع ترجمة المصادر الأجنبية إلى العربية، وهذا ما تفعله دول العالم الصغيرة التي تحتفي بلغاتها في مؤسسات التعليم العالي، فمن درس في بولندا تعلّم اللغة البولندية، ومن درس في تركيا تعلّم اللغة التركية، وهذه اليابان تُدرّس العلوم كلّها بلغتها المحليّة، مع ما في هذه اللغة من بعد وصعوبة على الحس الغربي، ولا ينكر أحد قدرة اليابان ونجاحها في الجانب العلمي... وكذلك الحال في اللغة العبرية، فبعد أنْ كانت لغة ميتة، عملوا على بعثها واعتمادها لغة للتدريس (32).

ونحذّر في هذا المقام من أنّ استخدام الإنجليزية بصورة مستمرة في التدريس الجامعي، يزيد من فرصة الابتعاد عن العربية، وإدخال مفردات أجنبية أكثر إلى الحديث

اليومي، وإهمال استعمال ما يقابلها باللغة العربية، ممّا يؤدّي مستقبلاً إلى ضعف هذه اللغة وتهميش دورها عند المثقّفين.

وأخيراً فإنّ إجراء امتحان معياري لخريجي الجامعات في مختلف التخصّصات، يقيس المهارات اللغوية الأساسية، والثوابت التي تصل حاضر هذه اللغة بماضيها، يكون حافزاً قوياً عند الناطقين بالعربية، لإتقانها إلى درجة عالية. والله نسأل أنْ يحفظ هذه اللغة، وأنْ يزيد من عدد الحريصين عليها.

هوامش البحث (المصادر والمراجع):

1. **إبراهيم اليازجي** – نقلاً عن بسام برّاك. *واقع اللغة العربية في الإعلام*. بيروت، 2012. المؤتمر الدولي السنوي للغة العربية. المجلد 1، صفحة 246.

2. **عز الدين المناصرة**. *الهويات والتعدّدية اللغوية*. عمان : دار مجدلاوي، 2004. صفحة 283.

3. **مصطفى سليمان**. *العربية هي الأقدر للكتابة*. بنغازي، 1995. صفحة 9.

4. **ختام سعيد سلمان**. *اللغة العربية وتحديات العصر*. بيروت، 2012. المؤتمر الدولي السنوي للغة العربية. المجلد 1، صفحة 698.

5. **بسام برّاك**. *واقع اللغة العربية في الإعلام*. بيروت، 2012. المؤتمر الدولي السنوي للغة العربية. المجلد 1، صفحة 250.

6. **ديفد كريستال**. *اللغة والإنترنت*. القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 2005. صفحة 8.

7. **سعيد الأفغاني**. *مزاعم الصعوبة في لغتنا*. القاهرة، 1984، مجلة مجمع اللغة العربية، صفحة 188.

8. **مصطفى صادق الرافعي**. *وحي القلم*. المكتبة العصرية، 2002.

9. **حسام الخطيب**. اللغة العربية: تحدّيات عاصفة ومواجهة متواضعة. *الجزيرة*. [رابط إلكتروني] 22 12, 2011. www.aljazeera.net.

10. **أحمد الخطيب**. *ألفاظ الحضارة بين العامية والفصحى*. عدد 36، مجلة اللسان العربي، صفحة 163.

11. **كمال محمد بشر**. *التغريب في اللغة والثقافة*. القاهرة، 1987، مجلة مجمع اللغة العربية، صفحة 195.

12. **صادق العسكري**. *التحديات التي تواجه الأساتذة في أقسام اللغة العربية*. بيروت، 2012. المؤتمر الدولي للغة العربية. المجلد 1، صفحة 358.

13. **عارف الحجاوي**. *ربما كان مجرّد استسهال*. عدد 88، بيرزيت : معهد الإعلام، جامعة بيرزيت، 2012، صحيفة الحال.

14. **كمال محمد بشر**. *التغريب في اللغة والثقافة*. القاهرة، 1987، مجلة مجمع اللغة العربية، صفحة 186.

15. **محمد محمد داود**. بيروت، 2012. المؤتمر الدولي الأول للغة العربية . المجلد 1، صفحة 160.

16. **محمد السيد البلاسي**. *وقوع المُعرّب في القرآن الكريم*. عدد 36، 1992، مجلة اللسان العربي، صفحة 123. المُعرّب: عرّفه علماء العرب بأنّه ما استعمله فصحاء العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها. مثل كلمة (لجام) فهي مُعرّب كلمة لغام أو لكام الفارسية، وموضع اللجام من الفرس هو الفم، وقد جمع على لُجُم مثل كُتُب، وصُغّر على لجيم، واشتقّ من الفعل ألجم.

17. **أحمد الخطيب**. *ألفاظ الحضارة بين العامية والفصحى*. عدد 36، 1992، مجلة اللسان العربي، صفحة 164.

18. **صبحي الصالح**. *دراسات في فقة اللغة*. بيروت : دار العلم للملايين، 1976. الصفحات 314-315.

19. **جورجي زيدان**. *اللغة كائن حيّ*. 1988.

20. **أحمد الخطيب**. *ألفاظ الحضارة بين العامية والفصحى*. عدد 16، مجلة اللسان العربي، صفحة 166.

21. **رشدي طعيمة**. *الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية*. 1998. صفحة 99.

22. **عدنان يحيى**. *رسالة موجّهة إلى دائرة اللغة العربية*. **جامعة بيرزيت**. 2012.

23. **وزارة التربية الوطنية**. *منهاج اللغة العربية*. الجزائر: الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد.

24. **رنا الدقاق**. *المؤتمر الدولي للغة العربية*. بيروت، 2012. المجلد 4، صفحة 140.

25. **ياسر الملاح**. *علم اللغة: موضوعاته وأساليب تدريسه، أساليب تدريس اللغة العربية*. القدس، 1987. صفحة 65.

26. *www.voiceofarabic.net*. [رابط إلكتروني] 2012.

27. **جبران خليل جبران**. *مستقبل اللغة العربية، المجموعة الكاملة*. بيروت : دار صادر، 1959. صفحة 544.

28. **أبو منصور الثعالبي** (430 هـ). *فقه اللغة وأسرار العربية*. بيروت : دار مكتبة الحياة، خطبة الكتاب.

29. **محمد فهمي هويدي**. *واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام*. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. [رابط إلكتروني] ورقة 6. www.isesco.org.

30. **صالح عبد العظيم الشاعر**. *حماية اللغة العربية بين التشريع والتنفيذ*. شبكة صوت العربية. [رابط إلكتروني] 2012. www.voiceofarabia.net.

31. **صادق العسكري**. *التحديّات التي تواجه الأساتذة في أقسام اللغة العربية وآدابها.* بيروت، 2012. المؤتمر الدولي للغة العربية. المجلد 1، صفحة 358.

32. **مرزوق بن صنيتان الحربي**. *اللغة العربية في القرن 21.* جامعة الملك سعود : محاضرة في قسم اللغة العربية، 2005.